شق للسقف.. شق للصدر

ليالي مكة واحدة تـــكاد لا تتغير.. فيها يهدأ الجميع. الصحابة متعبون من الأذى والمطاردة، والمشـــركون متعبون أيضاً، فقد أهـــدروا طاقاتهم طوال النهار في التعذيب والمطاردة لرســـول الله ﷺ وأصحابه، الذين يتمتعون بإزاحة العناء بجعل ليلهم مناجاة لخالقهـــم، وتهجداً وصفاء، مقاتلون مناضلون في النهار.. عباد في جوف الليل.. ذلك الليل الذي يغرفون منه هدوءه وتأمله..

فـــي ليلة غريبة.. في ليلة لا كالليالي.. هبط جبريل عليه الصلاة والســـلام على رســـول الله ﷺ على غير عادته، وبطريقة استثنائية.. يتحدث عنها ﷺ فيقول: (فرج عن ســـقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل، ففرج صدري، ثم غســـله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب، ممتلئ حكمة وإيماناً، فأفرغه في صدري، ثم أطبقه)[1].

شق للسقف، وشق للصدر! لم؟ وأين تم ذلك الشق الآخر؟

كان ﷺ نائماً في بيته، ثم أُخِذَ للمسجد الحرام، وكان في المسجد نيام، أما رسول الله ﷺ فأخذ بين النائم واليقظان.. أُخِذَ بين الناس نحو بئر زمزم.

يقول ﷺ: (بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان - وذكر يعني رجلاً بين رجلين- فأُتِيتُ بطست[2] من ذهب مليء حكمة وإيماناً، فشق من النحر إلى مراق[3] البطن، ثم غسل البطن بماء زمزم، ثم ملئ حكمة وإيماناً)[4].

شـــق آخر للنبي ﷺ استعداداً لرحلة عجيبة مدهشة ومعجزة، لكن كم من الزمن ستستغرقه هذه الرحلة؟ ومن سيحمله فيها؟

البراق

جلب جبريل عليه الســـلام حيواناً غريباً ليركبه ﷺ، فوصفه وقال: (وأُتِيتُ بدابة

---

(١) متفق عليه -البخاري كتاب الصلاة ومسلم - الإيمان - الإسراء.

(٢) الطست هو إناء نحاسي مستدير.

(٣) ما لانَ منه و رَقَّ أي المناطق الرقيقة من البطن.

(٤) حديث صحيح. رواه البخاري (بدء الخلق).

أبيض، دون البغل، وفوق الحمار «البراق»[1] وبعد أن (أتي رسول الله ﷺ بالبراق ليلة أسري به، مسرجاً ملجماً، فاستصعب عليه. فقال له جبريل عليه السلام: ما حملك على هذا؟ والله ما ركبك خلق قط أكرم على الله عز وجل منه. فأرفض[2] عرقاً)[3].

أما سرعة هذا البراق، فيقول ﷺ عنها بأنه: (يضع حافره عند منتهى طرفه).. والله أعلم بمنتهى ما يصل إليه طرفه وبصره، لكنه يبدو بعيداً جداً.. يدل على ذلك أن زمن الرحلة كان قصيراً، بحيث يعجز الإنسان عن قياس سرعة ذلك المخلوق العجيب.

يقول حذيفة رضي الله عنه: (أتي ﷺ بالبراق - وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل - فلم يزايلا ظهره هو وجبريل حتى انتهى إلى بيت المقدس)[4].

هذا ما جاء عن البراق.. البراق الذي نسج حوله الكذابون الأساطير. فقالوا: إن له رأس آدمي، وعرفاً من اللؤلؤ، وأذنين من الزمرد، وغير ذلك من الأكاذيب.

البراق باختصار: دابة أكبر من الحمار، وأصغر من البغل.. أبيض اللون، وخطوته تصل إلى أقصى نقطة يستطيع مشاهدتها، وقد ركبه ﷺ حتى أوصله إلى:

المسجد الأقصى

وفي طريقه ﷺ إلى المسجد الأقصى مر على موسى وهو يصلي في قبره[5] (فأوثق ﷺ الفرس - أو قال: الدابة في الخرابة)[6] وفي ذلك يقول ﷺ: (فركبته حتى أتيت بيت المقدس، فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد، فصليت

---

(١) جزء من الحديث السابق.

(٢) سال عرقه.

(٣) سنده صحيح (الترمذي تفسير سورة الإسراء) والبيهقي (٣٦٣/٢) عن عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس، وقتادة ثقة مدلس، لكن هذا الشك زال بروايته للحديث قائلاً: حدثت عن رسول الله ﷺ، وللحديث شواهد ستمر معنا.

(٤) سنده حسن رواه الطيالسي ٢-٩١ واللفظ له، والترمذي والبيهقي ٢-٣٦٤ من طريق عاصم بن بهدلة، وهو حسن الحديث ثقة في نفسه لكن في حفظه بعض الشيء وشيخه زر بن حبيس تابعي ثقة مخضرم التهذيب ٥-٣٨ والتقريب ٢١٥.

(٥) رواه مسلم ٤-١٨٥٤بلفظ: (مررت ليلة أسري بي على موسى وهو يصلي في قبره، والصلاة هنا الدعاء، وحياة القبر تختلف تماما عن حياتنا المادية.

(٦) سنده صحيح رواه البيهقي ٢-٣٦١ وأبو يعلى (ت ابن كثير ٨/٥) عن معتمر بن سليمان عن أبيه، سمعت أنس. وهما ثقتان. التهذيب ١٠-٢٢٧ التقريب ٢٠٤ و٢٥٢.

فيــه ركعتين، ثم خرجت، فجاءني جبريل عليه الســلام بإناء مــن خمر، وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل: اخترت الفطرة.

ثم عرج بنا إلى السماء، فاستفتح جبريل. فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال جبريل: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال جبريل: لقد بعث إليه.

ففتح لنا، فإذا أنا بآدم، (قاعد، على يمينه أســودة[1]، وعلى يســاره أســودة، إذا نظر قِبَل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل يساره بكى. فقال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح.

قلت لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم. وهذه الأسودة عن يمنه وشماله نسم[2] بنيه، فأهل اليمين منهم: أهل الجنة. والأســودة التي عن شــماله: أهل النار. فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى)[3] ، فرحب بي، ودعا لي بخير.

ثم عرج بنا إلى الســماء الثانية، فاســتفتح جبريل عليه السلام. فقيل: من أنت؟ قــال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال جبريل: قد بعث إليه.

ففتح لنا، فإذا أنا بابني الخالة: عيســى بن مــريم، ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهما، فرحبا، ودعوا لي بخير.

ثم عرج بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومــن معك؟ قال: محمد ﷺ. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف عليه السلام، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن.

ثم عرج بنا إلى الســماء الرابعة، فاســتفتح جبريل عليه السلام. قيل: من هذا؟. قــال: جبريل. قيل: ومــن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعــث إليه؟ قال: قد بعث إليــه، ففتح لنا، فإذا أنــا بإدريس، فرحب ودعا لي بخير. قال الله عز وجل: ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾.

---

(١) جمع من الناس.

(٢) يعني أرواح أبنائه.

(٣) هذه الزيادة عند البخاري ١-١٣٥.

ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل. قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بهارون عليه السلام، فرحب ودعا لي بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل عليه السلام. فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بموسى عليه السلام، فرحب بي ودعا لي بخير. (فلما جاوزت بكى. فقيل: ما أبكاك؟ قال: يا رب هذا الغلام الذي بعث بعدي، يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتي)[1].

ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام، مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه. (فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم. ورفعت لي سدرة المنتهى، فإذا نبقها[2] كأنه قلال هجر، وورقها كأنها آذان الفيول، في أصلها أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران. فسألت جبريل. فقال: أما الباطنان ففي الجنة. وأما الظاهران: النيل والفرات)[3]. (فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها)[4](وغشيتها ألوان لا أدري ما هي. ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبائل اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك)[5].

(ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام)[6].

فأوحى الله إلي ما أوحى، ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة. فنزلت إلى موسى عليه السلام. فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة. قال:

---

(١) زيادة عند البخاري ٣-١١٧٣

(٢) النبق: حمل السدر.

(٣) رواه البخاري ٣-١١٧٣ معنى ذلك (عنصرهما) كما في البخاري. والحديث.

(٤) زيادة عند مسلم ١-١٤٥.

(٥) زيادة عند البخاري ١-١٣٥. ومسلم (الإسراء من كتاب الإيمان). واللفظ له.

(٦) البخاري ١-١٣٥.

ارجـع إلى ربك فاسـأله التخفيف، فإن أمتك لا يطيقون ذلـك، فإني قد بلوت[1] بني إسرائيل، وخبرتهم.

فرجعت إلى ربي. فقلت: يا رب خفف على أمتي. فحط عني خمساً، فرجعت إلى موسـى. فقلت: حط عني خمساً. قال موسـى: إن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف.

قال ﷺ: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام، حتى قال: يا محمد إنهن خمس صلوات، كل يوم وليلة، لكل صلاة عشـر، فذلك خمسون صلاة، ومن هَمَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشراً. ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً. فإن عملها تكتب سيئة واحدة. قال ﷺ: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى عليه السلام، فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. فقال رسول الله ﷺ - فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه)[2].

ترتيب الأحداث

تلك هي قصة الإسراء والمعراج فلنرتبها مع إضافة بعض التفاصيل التي فاتتنا.

١- في بيت رسول الله:

ذلك عندما كان نائماً في بيته، فانشق سقف البيت ليدخل منه جبريل.

٢- في المسجد الحرام عند بئر زمزم:

عندمـا أخذ ﷺ من بين النيام.. وكان في حالة بين النائم والمسـتيقظ.. ثم أخذ إلى بئر زمزم ثم:

٣- شق صدره ﷺ:

فبعد إحضاره إلى بئر زمزم شـق صدره الشـريف للمرة الثالثة اسـتعداداً لهذه الرحلة العظيمة، وحشي إيماناً وحكمة، وكأن ذلك تحضير لتلك الرحلة الخارقة.

---

(١) جربت واختبرت.

(٢) حديث صحيح. رواه مسلم ١-١٤٥ عن أنس.

٤- إحضار البراق:

وهو دابة حجمه فوق حجم الحمار، وأصغر من حجم البغل.. أبيض اللون.. خطوته عند مد بصره، وله سرعة مذهلة لا يعلمها إلا الله (وكان البراق كلما صعد عقبةً استوت رجلاه مع يديه، وإذا هبط استوت يداه مع رجليه)[١].

٥- ركوب البراق:

وقد وجد ﷺ صعوبة في ركوبه أول الأمر، شمس وامتنع البراق لكن جبريل قال له: (ما حملك على هذا، والله ما ركبك خلق قط أكرم على الله عز وجل منه فارفض عرقاً)[٢] وما أن ركب رسول الله ﷺ حتى وصل بيت المقدس. وهذا يدل على سرعته، وعلى أنه قد سبق وأن ركبه غير رسول الله ﷺ.

٦- المرور بقبر موسى:

مر ﷺ بقبر موسى وهو في طريقه نحو المسجد الأقصى (وموسى يصلي في قبره)[٣] وصلاة موسى تختلف عن صلاتنا على ظهر الأرض، لأن حياة القبر ليست كحياة الأرض (الدنيا)، إنها أشبه بما يمر بالنائم من رؤى. والصلاة هنا معناها: الدعاء، وحتى الدعاء في القبر.. لا ندري كيفيته، وفي الكون مما لا يستطيع الإنسان إدراكه بحواسه، ما لو علمه لذهل وطار صوابه وتحير. والقبر في جميع الأحوال، إما حفرة من حفر النار، أو روضة من رياض الجنة. كيف يكون ذلك..؟ الله أعلم.

٧- الوصول للمسجد الأقصى:

حيث ربط الفرس أي البراق بالخرابة.. وربطها ﷺ (بالحلقة التي يربط به الأنبياء)[٤] وهذا يدل على أن البراق قد ركبه أنبياء آخرون من قبل، مما يدل على أهمية فعل الأسباب مع التوكل وتفويض الأمر لله، وهذا هو التوكل الصحيح على الله،

---

(١) سنده جيد رواه الحسن بن عرفة في جزئه (تفسير ابن كثير ١٧/٣) حدثنا مروان بن معاوية وهو ثقة عن شيخه الصدوق قنان بن عبد الله النهمي عن شيخه الثقة أبي جناب.

(٢) مر معنا وإنه حديث صحيح الإسناد.

(٣) مر معنا وإنه قد رواه مسلم.

(٤) مر معنا وهو عند مسلم.

وإلا فالبـــراق لن يهرب واللـــه قد أحضره لنبيه ﷺ، ثم صلى النبي ﷺ في المســـجد الأقصى ركعتين.

٨- الخمر واللبن:

وبعد أن صلى رســـول الله ﷺ ركعتين خرج فاستقبله جبريل بإناءين.. في أحدهما لبن، وفي الآخر خمر. وكان على رســـول الله ﷺ أن يشرب أحدهما، فاختار اللبن فقال له جبريل عليه الصلاة والســـلام: (اخترت الفطـــرة)[١] ولم يتضح معنى هذه الكلمة في عصر كما اتضح في عصرنا هذا، فاسأل الأطباء. كما قال جبريل عليه الصلاة والسلام: (أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك)[٢]. بعد ذلك ينتهي الإسراء، ويبدأ المعراج.

العروج للسماء الدنيا

حيث صعد جبريل عليه السلام بمحمد ﷺ آخذاً بيده إلى السماء.

يقول ﷺ: (ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا، فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل عليه السلام لخازن السماء الدنيا)[٣] وفي هذا الحديث إشارة إلى وجود خازن من الملائكة للسماء الدنيا. كما أن في بقية الحوار بين جبريل وخازن السماء الدنيا ما يـــدل على أن الملائكة لا تعلم الغيب، ولا تعلم ما يحدث على وجه الأرض، وذلك لأنهم يسألون جبريل في كل سماء فيقولون: وقد بعث إليه؟ أو: وقد أرسل إليه؟..

مَنْ مِنَ الأنبياء في السماء الدنيا

لقد شـــاهد ﷺ أبانا آدم عليه الصلاة والســـلام، فسلم عليه رسول الله ﷺ، ورد آدم عليه الســـلام. كما شاهد ﷺ خلقاً كثيراً عن يمينه، وخلقاً كثيراً عن شماله، وكان آدم إذا نظر إلى يمينه ضحك مبتهجاً مسروراً، وإذا نظر إلى شماله بكى حزناً وأسى، فشـــد ذلك السلوك نبينا محمد ﷺ فسأل عنه جبريل؟ فأجابه جبريل: (هذه الأسودة عن يمينه، وعن شماله نسيم بنيه، فأهل اليمين أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله

---

(١) حديث صحيح مر معنا.

(٢) حديث صحيح. متفق عليه.

(٣) حديث صحيح مر معنا.

أهل النار. فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى)[1] ثم ودع آدم رسول الله ﷺ بعد أن رحب به ودعا له بخير

في السماء الثانية

جرى حوار كالحوار الأول بين جبريل عليه السلام وخازن هذه السماء، ثم صعد رسول الله ﷺ فوجد عيسى بن مريم وابن خالته يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام فرحبا به، وقد وصف رسول الله ﷺ أخاه عيسى بن مريم عليه السلام فقال: (رأيت عيسى بن مريم مربوع الخلق، إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس)[2]. (أحمر كأنما خرج من ديماس)[3].

السماء الثالثة

في هذه السماء شاهد رسول الله ﷺ أجمل خلق الله وجهاً.. شاهد يوسف بن يعقوب النبي الأمين عليه السلام، فوصفه ﷺ قائلاً: «إذا هو قد أعطي شطر الحسن»[4]. وقال مرة: (أعطي يوسف وأمه شطر الحسن)[5] وقد رحب به يوسف ودعا له بخير.

في السماء الرابعة

حيث رأى من قال الله فيه: ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾[6] إنه إدريس عليه الصلاة والسلام.

وفي السماء الخامسة

شاهد رسول الله ﷺ أخاه هارون.. خليفة موسى في بني إسرائيل، ووزيره وأخوه صلى الله وسلم عليهم جميعاً. فرحب به ودعا له بخير.

---

(١) حديث صحيح مر معنا.
(٢) حديث صحيح. رواه مسلم.
(٣) حديث صحيح. متفق عليه. انظر صحيح الجامع (١٠٨/٥) والديماس هو الحمام.
(٤) حديث صحيح. رواه مسلم.
(٥) حديث صحيح. رواه الحاكم. انظر صحيح الجامع (٣٥١/١).
(٦) سورة مريم: الآية ٥٧.

obeikandl.com

وفي السماء السادسة

لقي ﷺ أخاه موسى عليه السلام، وقد وصفه ﷺ فقال: مررت ليلة أسري بي على موسى بن عمران عليه السلام: (رجل آدم، طوال، جعد[1]، كأنه من رجال شنوءة)[2]. (فسلمت فقال: مرحباً بك من أخ ونبي)[3]. لكن موسى عليه السلام بكى بعدما صعد رسول الله ﷺ إلى السماء السابعة، فقيل لموسى ﷺ، ما أبكاك. قال: (يا رب هذا الغلام الذي بعث بعدي، يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتي)[4]. ولم يكن ذلك حسداً من موسى، فالحسد يموج هناك على وجه الأرض، لكنه كان يبكي متحسراً.. آسفاً لعناد أمته وتعنتها، وإلا فهو يحب أمة محمد ﷺ ويعطف عليها، يدلنا على ذلك حديث طويل جرى له مع رسول الله ﷺ حول عدد الصلوات المفروضة، والتي بسبب موسى عليه السلام خفف الله الصلاة عن أمة محمد من خمسين إلى خمس صلوات، فجزاه الله عنا خير الجزاء.

في السماء السابعة

وهي آخر السموات، وفيها شاهد أباه إبراهيم مسنداً ظهره إلى «البيت المعمور» وهو: بيت يطوف به ويصلي سبعون ألف ملك كل يوم.. لا يعودون بعدها، ودخل ﷺ هذا البيت وسلم على والده إبراهيم فرحب به، وحمَّلَه وصية لأمته قال فيها: (يا محمد أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التراب، عذبة الماء، وإنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)[5].

أما وصف هيئة إبراهيم عليه السلام، فقد قال رسول الله ﷺ: (ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به)[6] ويقول: (ونظرت إلى إبراهيم، فلا أنظر إلى أرب من آرابه إلا نظرت إليه مني، كأنه صاحبكم)[7].

---

(١) ومعنى آدم أي يميل للسمرة، أما الجعد فمتثني الشعر.
(٢) حديث صحيح. رواه مسلم (الإيمان -الإسراء) وشنؤة قبيلة ومعنى آدم أي .
(٣) حديث صحيح مر معنا. البخاري. بدء الخلق؟
(٤) حديث صحيح مر معنا. البخاري. بدء الخلق؟
(٥) حديث حسن رواه الترمذي. انظر صحيح الجامع (٣٤/٥).
(٦) متفق عليه.
(٧) إسناده حسن، رواه أحمد من طريق هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس وهلال حسن الحديث. انظر المجموعة القصيمية (الإسراء والمعراج).

وهذه الشجرة الرائعة والسدرة العظيمة (إليها ينتهي ما يعرج من الأرض، فيقبض منهـا، وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها)[1] وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ قال: (فراش من ذهب)[2]، ويصف ما حدث لها من تشكلات مذهلة فيقول: (ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها)[3] جمال وألوان وثمار تقف لغات الدنيا ملجمة أمامها.. يحار العقل ويعجز الإبداع عن تجليتها ووصفها، أو التعبير عن معاناة الوقوف أمامها وأسرها.

هذا هو رسول الله ﷺ أوتي جوامع الكلم يقول: فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها. فكيف يكون جمال الجنة يا ترى؟ كيف هي قصورها التي لم تبن بالحجارة أو الطين أو الإسمنت، بل من الذهب والفضة والذهب واللؤلؤ والألماس وما شئت من الأحجار الكريمة؟ كيف طرقات الجنة وهي ليست من تراب أو إسفلت، بل ترصف بالأحجار الكريمة التي لا حصر لأنواعها وألوانها وأشكالها هناك؟ كيف هي زهور الجنة الملايينية التي لا نهاية لألوانها وعبقها وعطورها؟ كيف هي أنهارها وأوديتها وبحارها التي لا تعرف التلوث أو الملوحة أو التغير، وقيعانها التي لم تعد من الطين والطمي والحصى، بل إن شئت فقل قيعان لؤلؤية ومرجانية ومسارب ألماسية.. كيف وكيف وكيف؟أطلق خيالك في سماء الأماني لن تبلغ بدايات الجنة وأدنى منازلها[4].

فلنعد لسدرة المنتهى.

وفي أصل هذه السدرة (أربعة أنهار، نهران باطنان، نهران ظاهران)[5]. (أما الباطنان ففي الجنة، وأما الظاهران: النيل والفرات)[6] أي (عنصرهما)[7]، وليس معناه أن النيل والفرات الآن متصلان بها.

---

(١) حديث صحيح. رواه مسلم (١/١٥٧).
(٢) حديث صحيح. رواه مسلم (١/١٥٧).
(٣) حديث صحيح. رواه مسلم (كتاب الإيمان -الإسراء).
(٤) إن شئت سياحة في أمنيات الجنة فصاحبني في كتابي (الجنة حين أتمنى) جمعنا الله بها.
(٥) حديث صحيح. رواه البخاري (بدء الخلق -ذكر الملائكة).
(٦) حديث صحيح. رواه البخاري (بدء الخلق -ذكر الملائكة).
(٧) حديث صحيح. رواه البخاري ٦-٢٧٣٠.

obeikandl.com

ثم عرج به ﷺ لكن ماذا بعد السموات السبع.

صريف الأقلام

يقول ﷺ: (ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام)[1] وفي تلك الدرجة العليا من السمو يتساءل المرء عن حال جبريل رفيق المعراج.. كيف كانت هيأته وهو في الملأ الأعلى؟

شاهده النبي ﷺ فوصفه بقوله: (مررت ليلة أسري بي بالملأ الأعلى، وجبريل كالحلس البالي من خشية الله)[2] كان جبريل كالثوب الرقيق.. قد ذاب من خشية الجبار سبحانه وتعالى.

فرض الصلوات

صعد ﷺ هناك.. أعلى من السحب.. أعلى من الشمس والنجوم والمجرات والكواكب. لقد اخترقها كلها.. إنه الآن فوق السموات السبع.. محمد ﷺ ينتظر شيئاً في هذه الأجواء الشفافة المتوهجة الطاهرة، وفي هذا العلو المقدس أوحى الله إلى محمد ما أوحى: خمسين صلاة في اليوم والليلة.

عاد بها ﷺ مطيعاً كعادته، ولكن وفي طريق النزول اعترضه موسى سائلاً عما حدث له؟ فأجابه بأن الله قد فرض عليه خمسين صلاة. فأرشده موسى إلى أن أمته تحتاج إلى تخفيف، فصعد إلى ربه يسأله التخفيف، وما زال يتردد بين المكان الذي يوحى إليه فيه، وبين موسى حتى جعلها الرحمن الرحيم خمس صلوات في اليوم والليلة، لكن لها أجر خمسين صلاة.. تفضلاً منه سبحانه وتعالى، وفي تلك الأجواء المهيبة أوحي إليه

آيات من تحت العرش

آيتان عظيمتان.. أعطاهما الله نبيه ﷺ من كنز تحت العرش، وفي ذلك يقول ﷺ

---

(١) حديث صحيح. رواه البخاري (كتاب الصلاة -ومسلم كتاب الإيمان).

(٢) حديث حسن رواه الطبراني في الأوسط. انظر صحيح الجامع (٢٠٦/٥).

مغتبطاً بفضل الله عليه من بين الأنبياء: (أعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة، من كنز تحت العرش، لم يعطها نبي قبلي)[1].

والآيتين هما (خواتيم سورة البقرة)[2]. أي قول الله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

ولذلك يقول ﷺ: (من قرأ بالآيتين من سورة البقرة في ليلة كفتاه)[3].

تفضل آخر

ومن فضل الله على رسول الله ﷺ وعلى أمته أيضاً.. ذلك الفيض الغامر رحمة، عندما أبلغ رسوله ﷺ أنه قد: (غفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً المقحمات)[4]. كل هذا الفضل.. العطاء.. كان وحياً، أم كان خطاباً يسمعه رسول الله ﷺ كما سمعه موسى يا ترى.

هل رأى ربه وسمعه

كما سمعه موسى عليه الصلاة والسلام، أما السماع، فقد مر معنا أنه قد أوحي إليه وحياً، وأما الرؤية، فقد كفانا أبو ذر مهمة حمل السؤال لرسول الله ﷺ حيث قال رضي الله عنه: (سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ قال: «نور أنى[5] أراه»)[6]، (رأيت نوراً)[7]. لكنه رأى الجنة ودخلها، ووصفها فكيف وصف:

---

(١) حديث صحيح. رواه أحمد والطبراني والبيهقي. انظر صحيح الجامع (١/٣٥٠).

(٢) حديث صحيح. رواه مسلم (١/٢٥٧) قال عبد الله:... وأعطي خواتيم سورة البقرة.

(٣) أي تكفيه حديث صحيح رواه البخاري ٤/١٩١٤.

(٤) حديث صحيح. رواه مسلم.

(٥) أي كيف أراه.

(٦) حديث صحيح. رواه مسلم (الإيمان/ باب نور أنى أراه)

(٧) حديث صحيح. المصدر السابق.

دخول الجنة

لقد قال ﷺ: (أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك)[1]. ثم جرى في طريق عودته

حوار بين الأنبياء

حوار حول الساعة، وأمرها ومتى تكون؟ يقول ﷺ: (لقيت ليلة أسري بي إبراهيم وموسى وعيسى، فتذاكروا أمر الساعة، فردوا أمرهم إلى إبراهيم. فقال ﷺ: لا علم لي بها. فردوا الأمر إلى موسى عليه السلام. فقال: لا علم لي بها.

فردوا الأمر إلى عيسى عليه السلام. فقال: أما وجبتها فلا يعلمها أحد إلا الله، ذلك وفيما عهد إلى ربي عز وجل: أن الدجال خارج، ومعي قضيبان، فإذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص، فيهلكه الله، حتى إن الحجر، والشجر ليقول: يا مسلم.. إن تحتي كافر فتعال فاقتله، فيهلكهم الله، ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم، فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيطؤون بلادهم، لا يأتون على شيء إلا أهلكوه، ولا يمرون على ماء إلا شربوه ثم يرجع الناس إلي، فيشكونهم، فأدعو الله فيهلكهم ويميتهم، حتى تجوي الأرض من نتن ريحهم، فينزل الله عز وجل المطر، فتجرف أجسادهم حتى يقذفهم في البحر)[2].

ففيما عهد إلى ربي عز وجل: أن ذلك إذا كان كذلك فإن الساعة كالحامل المتام التي لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادها ليلاً أو نهاراً)[3].

المسيح الدجال

ذلك القائد اليهودي، الذي ذكره عيسى بن مريم ﷺ. هل رآه رسول الله ﷺ في رحلته العجيبة..؟

---

(١) حديث صحيح. رواه البخاري ومسلم (كتاب الإيمان -الإسراء). والجنابذ هي القباب

(٢)حسن من أجل مؤثر بن عفازة ١-٣٧٥. انظر ما بعده.

(٣) إسناده جيد، رواه أحمد ١-٣٧٥ وغيره حدثنا هشيم، أخبرنا العوام، من جبلة بن سحيم، عن مؤثر عفارة، عن ابن مسعودة. العوام بن حوشب ثقة ثبت من رجال الشيخين، وجبلة بن سحيم تابعي ثقة. انظر الجرح والتعديل ٢-٥٠٨ وشيخه تابعي ثقة أيضاً. انظر ثقات العجلي (٤٤٣)، والحافظ لم ينقل توثيق العجلي وفي ذكر نسف الأرض نكارة.

لقد قال أحد الصحابة أنه (ذكر الدجال)[1] وأنه (رأى الدجال في صورته رؤيا عين ليس مناماً قال ﷺ: رأيته فيلمانياً[2]، أقمر[3] هجاناً[4]، إحدى عينيه قائمة كأنها كوكب دري، كأن شعر رأسه أغصان شجرة)[5].

خازن جهنم

ملَك رهيب اسمه مالك.. لا يبتسم، وصورته الحقيقية لا تسر، ولا يستطيع بشر مهما كان قوي القلب الصمود أمامها.. ملك مخيف جداً.. يتطاير الرعب من قسماته ونظراته.. لا يعرف الشفقة، ولا يرحم أحداً، وكيف يرحم وهو خازن جهنم، وممزق أعداء الله ومعذبهم. رآه ﷺ أثناء الإسراء والمعراج عندما (قال قائل: يا محمد هذا مالك صاحب النار، فسلم عليه. فالتفت إليه فبدأني بالسلام)[6].

ولم يرَ ﷺ خازن جهنم فقط، بل رأى جهنم نفسها، فجبريل عليه السلام أراه الجنة والنار (فنظر في النار، فإذا قوم يأكلون الجيف. فقال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس. ورأى رجلاً أحمر أزرق، جعداً شعثاً إذا رأيته.

قال ﷺ: من هذا يا جبريل؟ قال عليه الصلاة والسلام: هذا عاقر الناقة)[7] التي جعلها الله آية لنبيه صالح عليه الصلاة والسلام، فكان بجريمته هذه أشقى قومه ثمود.

وقد قص سبحانه وتعالى قصته على رسوله ﷺ فقال: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾

---

(١) حديث صحيح. رواه مسلم (الإيمان -الإسراء).

(٢) الفيلمان: العظيم.

(٣) الأقمر: الأبيض.

(٤) الهجان: الأبيض.

(٥) سنده حسن، رواه أحمد ١-٣٤٧ وإسحاق بن سليمان (سيرة الذهبي ٢٥١) عن هلال بن خباب وهو حسن الحديث، عن عكرمة عن ابن عباس، وليس في هلال كلام يضر.

(٦) حديث صحيح. رواه مسلم.

(٧) إسناده حسن. رواه أحمد ١-٢٥٧ حدثنا عثمان بن محمد، حدثنا جرير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس. عثمان هو العيسى ثقة، التهذيب ٧-١٤٩، وجرير بن عبد الحميد بن قرط ثقة صحيح الكتاب، وقابوس حسن الحديث إذا لم يخالف فجرحه غير مفسر أفرط ابن حبان في جرحه كعادته، ووالده تابعي ثقة اسمه حصين بن جندب الجنبي.

obeikandl.com

إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ﴾[1].

ومر ﷺ بأقوام تركوا ألسنتهم تزحف.. أفاعي تنهش الغافلين.. تنهش المجتمع، لتواصل زحفها حتى تسحب أهلها إلى الجحيم، فقال: (مررت بأقوام لهم أظفار من نحاس، يخمشون وجوههم وصدورهم. فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال عليه السلام: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم)[2].

أما في الجنة

في عالم الجمال والأنوار والفتنة، والحب المتجدد في قلوب أهلها حول المياه والخضرة الساحرة، والقصور الفارهة، والطرقات الفسيحة، والبحيرات والشلالات والسفن واليخوت والمركبات والطائرات المترفة.. كان لبلال خشف هناك.. خشف لنعلي ذلك الشريد الذي تتقاذفه قبضات قريش، فتحتضنه تجاويف الجبال والخوف وغيرانها.. يرجف يصبغها بالدماء والبكاء.. بلال الأسود كان هناك كالملاك.

يقول ﷺ: (دخلت الجنة ليلة أسري بي، فسمعت في جانبها وجساً، فقلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا بلال)[3]. واستمر خشف بلال حتى بعد الإسراء، فقد قال عليه السلام له: (يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته عندك في الإسلام منفعة، فإني سمعت الليلة خشف نعليك بين يدي في الجنة.

قال بلال: ما عملت عملا في الإسلام أرجى عندي منفعة، من إني لا أتطهر طهورا تاماً، في ساعة من ليل ولا نهار، إلا صليت بذلك الطهور ما كتب الله لي أن أصلي)[4].

بلال في الأرض.. في مكة سلعة تباع وتشترى، وتعرض في الأسواق. لا يملك بيتاً، ولا يملك نفسه، لكنّ في أعماقه بلال آخر.. بلال مسلم حر مزق الشرك والخضوع..

---

(١) سورة الشمس.
(٢) إسناده صحيح. رواه أحمد وأبو داود. صحيح أبي داود (٩٢٣/٣).
(٣) حديث صحيح. انظر صحيح الجامع الصغير.
(٤) صحيح مسلم ١٩١٠.

يتبختر في القصور هناك.. هناك في النعيم.. في الجنة.. سيداً من سادات الأرض والسماء والإسلام. سيداً في عالم الجنات حيث لا عين رأت مثل ذلك الحب والجمال والأنوار، ولا أذن سمعت، ولا خطر شيء من ذلك في خيال بشر.. مهما هام وأبدع وتألق، أو غاص عوالم الأحلام والأماني. أشرع الله أبوابها للموحدين، ونثر مفاتيحها في دروب الجميع، فمن تخلف فلا يلومن إلا نفسه.

وصية

قالتها الملائكة.. لرسول الله ﷺ: (ما مررت ليلة أسري بي بملأ من الملائكة إلا كلهم يقول لي عليك يا محمد بالحجامة)[1].

العودة للمسجد الأقصى

بعد هذه الرحلة الممتعة في عوالم الخلود العلوية.. عاد ﷺ إلى المسجد الأقصى، (فلما دخل النبي ﷺ المسجد الأقصى قام يصلي، فالتفت، ثم التفت فإذا النبيون أجمعون يصلون معه)[2].

ثم ركب البراق فإذا هو في مكة في زمن يخرس الأرقام.. محمد يعود والناس نيام، فماذا سيقول لهم غداً، وأي كفر ذلك الذي ستشهده شمس الصباح؟

رسول الله حزين معتزل

يقول رسول الله ﷺ: («لما كانت ليلة أسري بي، وأصبحت بمكة، فظعت بأمري، وعرفت أن الناس مكذبي، فقعد معتزلاً حزيناً»، فمر عدو الله أبو جهل، فجاء حتى جلس إليه فقال: كالمستهزئ: هل من شيء؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم». قال أبو جهل: ما هو؟ قال ﷺ: «إنه أسري بي الليلة». قال أبو جهل: إلى أين؟ قال عليه الصلاة والسلام: «إلى بيت المقدس». قال أبو جهل: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال ﷺ: «نعم».

---

(١) سنده حسن رواه أحمد ١-٣٥٤وغيره عن عبد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً، وعباد صدوق مدلس لكنه سمع من عكرمة عند الترمذي ٤-٣٩١

(٢) سنده حسن وقد مر معنا ويشهد له ما بعده. وهو حديث مسلم (الإيمان -ذكر المسيح).

فلم يُرَ[1] إنه يكذبه، مخافة أن يجحده الحديث إذا دعا قومه إليه. قال: أرأيت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثتني؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم».

فقال أبو جهل: هيا يا معشر بني كعب بن لؤي.

فانتفضت إليه المجالس، وجاءوا حتى جلسوا إليهما. قال: حدِّثْ قومك بما حدثتني. فقال رسول الله ﷺ: «إني أسري بي الليلة». قالوا: إلى أين؟ قال ﷺ: «إلى بيت المقدس». قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟! قال ﷺ: «نعم». فمن بين مصفق، ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً)[2](فقال ناس: نحن نصدق محمداً بما يقول؟ فارتدوا كفاراً، فضرب الله أعناقهم مع أبي جهل. وقال أبو جهل: يخوفنا محمد شجرة الزقزم، هاتوا تمراً وزبداً فتزقموا)[3].

لكن أبا بكر لا يقول؛ كذبت

أبو بكر الصديق يعرف أكثر من غيره نبع الصدق.. أكثر من يعرف رسول الله ﷺ في صباه وشبابه، وبعد نبوته. سمع بالخبر فجاء لرسول الله ﷺ وقال له: (أشهد أنك رسول الله)[4].

قريش تطلب الدليل

للتعجيز.. لإثبات أن رسول الله ﷺ يكذب، ولو لمرة واحدة يلوثون بها تاريخه النقي كأنهار الجنة. طلبت قريش دليلاً على ما يقوله ﷺ، فأخبرهم بقافلتهم القادمة ووصفها لهم، لكن هذا الأمر يتطلب الانتظار، وقريش تريد التكذيب في الحال، لذا طالبته أن يصف بيت المقدس فهو لم يره من قبل.

---

(١) أي تظاهر أبو جهل بأنه يصدق ذلك الخبر، ظاناً أن تكذيبه في هذا الوقت سوف يجعل رسول الله ﷺ يتراجع عن قول الحقيقة إذا اجتمع القوم.

(٢) سيأتي تخريجه.

(٣) سيأتي تخريجه.

(٤) حديث صحيح رواه البيهقي والبزار (٣٥/١) قال البيهقي: إسناده صحيح وليس كما قال، بل فيه إسحاق بن إبراهيم بن العلاء وهو صدوق في نفسه إلا أن الحافظ قال: يهم كثيراً، التقريب ٩٩، وضعفه ليس بالشديد وله شاهد صحيح عند أبي يعلى ٧-١٢٦

يقول رسول الله ﷺ: (لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كربة ما كربت مثله قط فرفعه الله لي أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به، وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء. فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى بن مريم عليه السلام قائم يصلي، أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي. وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي، أشبه الناس به صاحبكم «يعني نفسه» فحانت الصلاة فأممتهم)[1] ويقول ﷺ: (لما كذبتني قريش قمت في الحجر، فجلا الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه)[2].

ويقول أحد الصحابة: (قالوا: هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد - وفي القوم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد؟

فقال رسول الله ﷺ: (فذهبت أنعت، فما زلت أنعت حتى التبس علي بعض النعت، فجيء بالمسجد وأنا أنظر، حتى وضع دون دار عقيل، فنعته، وأنا أنظر إليه.. فقال القوم: أما النعت فوالله لقد أصاب)[3].

أما قافلة العير فساحت نحو بطحاء مكة.. تنشد الشعر والحداء.. محملة بأقوال تبشر بصدق معراجه وبصدق امتطاء البراق، فابتهجت قلوب المؤمنين، وتهللت وجوههم، وانصرف الشامتون يجرون خيبتهم، ويجترون جمراً.. إنهم لم يروا محمداً إلا متجدداً طاهراً نقياً لا شائبة فيه، أما هو فاتجه يبشر أصحابه بـ:

الصلاة المفروضة

كان ذلك بعد الإسراء مباشرة.. حيث نزل جبريل فعلم رسول الله ﷺ أوقات الصلاة عند الكعبة مرتين.

---

(١) حديث صحيح. رواه مسلم (الإيمان -ذكر المسيح).

(٢)حديث صحيح. رواه مسلم (الإيمان -ذكر المسيح).

(٣) إسناده صحيح. رواه أحمد ١-٣٠٩ وغيره عن عوف عن زرارة بن أبي أوفى عن ابن عباس، وعوف ثقة كان يقال له: عوف الصدوق التهذيب ٨-١٦ وشيخه زرارة بن أوفى العامري الحرشي، تابعي ثقة عابد، مات فجأة وهو يصلي. التقريب ٢١٥.

obeikandl.com

يقول ﷺ: («أمني جبريل عند البيت مرتين، فصلى بي الظهر حين زالت الشمس[١]، وكانت قدر الشراك.

وصلى بي العصر حين كان ظله[٢] مثله.

وصلى بي المغرب حين أفطر[٣] الصائم.

وصلى بي العشاء حين غاب الشفق.

وصلى بي الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم[٤].

فلما كان من الغد: صلى بي الظهر حين كان ظله مثله.

وصلى بي العصر حين كان ظله مثليه.

وصلى بي المغرب حين أفطر الصائم

وصلى بي العشاء إلى ثلث الليل.

وصلى بي الفجر فأسفرت[٥] ثم التفت إلي وقال: يا محمد هذا وقت الأنبياء من قبلك، والوقت ما بين هذين الوقتين »[٦])[٧].

وكانت الصلاة بمكة (ركعتين.. ركعتين)[٨]، كل صلاة ركعتان إلا المغرب فثلاث ركعات.

حملها ﷺ إلى أصحابه.. علَّمَها إياهم زاداً مفروضاً يريحهم بها ساعات الضيق والضنك.. تعيد تنظيم أوقاتهم كما أعاد التوحيد نظام حياتهم، وكان ﷺ في بعض الأوقات يسير نحو الكعبة.. يعبد الله عندها، ويؤدي هذه الصلوات هناك، لكن ذلك لم يعجب طواغيت قريش.. لم يرق لهم ما يفعله هذا النبي الجريء.. الذي يتحدى بصلاته أصنامهم، وحجارتهم وأخشابهم التي يسمونها آلهة.

---

(١) تحركت الشمس من زاوية ٩٠° نحو الغروب.

(٢) مثله في الطول أى في زاوية (٤٥°).

(٣) وقت غروب الشمس.

(٤) فيه فائدة حول وقت السحور. وأنه عند بداية ظهور نور الفجر وكان ذلك في أول الأمر.

(٥) يقول ﷺ: «أسفروا بالفجر فإنه أعظم للأجر». صحيح الجامع للألباني (٢٣٧/٥).

(٦) أي وقت كل صلاة ما بين الوقتين اللذين أداها بينهما.

(٧) حديث صحيح. انظر المصدر ما قبل السابق (٤٦٣/٥).

(٨) حديث صحيح. رواه البخاري (١٢٧/١) عن عائشة رضي الله عنها.

لقد أجج ذلك التحدي جحيم الانتقام الذي يغلي داخل صدور المشـــركين، وجدد محاولاتهم الســـابقة للإيذاء والتنكيل، بل والقتل. والذي سيتكفل بهذه المهمة اليوم هو طاغوت قريش وفرعون الأمة.

أبو جهل يمنع الصلاة

عندما نفخ صدره أمام أشباهه يوماً، ثم نفث سماً قائلاً: (لئن رأيت محمداً يصلي عنـــد الكعبة، لأطأنَّ على عنقـــه، فبلغ النبي ﷺ فقال: لو فعل، لأخذته الملائكة)[1]. ثم مشـــى ﷺ إلى بيت الله واثقاً من وعده، وصلى وركع وســـجد ودعا وابتهل. فعلم أبو جهل، فجاء كالمسعور نحو رسول الله ﷺ فقال له: (ألم أنهك عن أن تصلي يا محمد؟! لقد علمت ما بها أحد أكثر نادياً مني.

فانتهره النبي ﷺ فقال جبريل: فليدع ناديه، ســـندع الزبانية، والله لو دعا ناديه، لأخذته زبانية العذاب)[2].

لكـــن أبا جهـــل كان حاقداً على النبوة.. حاقداً علـــى صاحبها، لأنه ليس من أهل بيته.. لأنها ليست فيهم، فليحطمها، وليحطم صاحبها. أبو جهل كان طافحاً بالعصبية الجاهلية.. حيث يغيب العقل وتموت الحكمة فلا يرى صاحبها غيره، وكأن محمداً ﷺ وأتباعه داخل صدره القاتم يمنعون عنه الهواء.

عقد أبو جهل حاجبيه واســـودت الدنيا أمامه (فأتى رســـول الله ﷺ وهو يصلي ليطأ على رقبته، فما فجئهم[3] منه إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقي بيديه، فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار، وهولاً وأجنحة. فقال رسول الله ﷺ: «لو دنـــا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً». وأنزل الله عز وجل[4]: ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤

---

(١) حديث صحيح. رواه البخاري (١٨٩٦/٤).

(٢) سنده صحيح، رواه البيهقي (١٩٢/٢) وغيره من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس. داود ثقة متقن التقريب ٢٠٠ وشيخه مولى ابن عباس تابعي ثقة معروف.

(٣) باغتهم دون توقع لهذا التصرف.

(٤) حديث صحيح. رواه مسلم (كتاب المنافقين).

كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴾[1].

فامتثل ﷺ وسجد رغم أنف أبي جهل وأنوف من معه.

لقد كان ما حصل لأبي جهل رادعاً له، لو كان له قلب.. لو كان يظن أن محمداً يكذب. لكنه كان يشرك بالله عن علم ودراية.. عناداً وتجبراً، وغروراً بما لديه من نسب ومال وسلطة، ولهذا وأمثاله جزاء رادع.. في يوم لا تنفعه هذه الأشياء، وفي أمثال هذا نزل الوحي من السماء: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴾[2].

ولى أبوجهل مذعوراً، ومرت أيام، وعاد ليمارس هو وزبانيته نوعا قذراً من الأذى لا يليق إلا بالرعاع.. إلا بمن لا أخلاق لهم.

يضعون السلا على ظهره

شاهدهم عبد الله بن مسعود فلم يستطع فعل شيء.. كان محطم القلب واليدين، وهو يشاهد حبيبه ﷺ (يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور[3] بالأمس.

فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور «بني فلان» فيأخذه، فيضعه على كتفي محمد إذا سجد؟

فانبعث أشقى القوم، فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه، فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل إلى بعض، وأنا قائم أنظر - لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ - والنبي ساجد ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت - وهي جويرية - فطرحت عنه.

---

(١) سورة العلق.

(٢) سورة الهمزة.

(٣) الجزور من الإبل يطلق على الذكر والأنثى والمراد به هنا سلا الأنثى من الإبل.

ثم أقبلت عليهم تسبهم، فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته، ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا، دعا ثلاثاً. وإذا سأل، سأل ثلاثاً، ثم قال النبي ﷺ: «اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش».

فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته، ثم قال ﷺ: «اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وذكر السابع ولم أحفظه»[1].

لقد استنفذ ﷺ - دون يأس - كل الوسائل فـ:

لم يبق إلا الدعاء

قريش أصبحت جداراً.. أم القرى لهيب نار.. اليوم صوتها رمضاء.. دروبها عماء.. دروبها حبال.. حصار فوقه حصار.. تلبد الحصار كالجبال كالمحال.. لكنه الإيمان.. نبض الموحدين يمضغ المحال.. وفي السماء قطرة ستغسل الجبال.. ستزرع الحياة في القلوب.. في كل حبة من الرمال..

البحث عن الأنصار

بعد أن أصبحت قريش جداراً من العناد والحصار.. جد ﷺ في البحث عن أنصار يحملون دين الله بقلوبهم.. يفتش عن أرض وصدور أرحب.. ولذلك: (انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين، فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب. قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث. فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث.

فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها، ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء. فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة، وهو عامد إلى سوق (عكاظ)، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن،

---

(١) حديث صحيح. رواه مسلم الجهاد والسير، والبيهقي (٢/٢٨) واللفظ له.

تسمعوا له فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك رجعوا إلى قومهم. فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجباً، يهدي إلى الرشد فآمنا به، ولن نشرك بربنا أحداً، وأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۝٤ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝٥ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ۝٧ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ۝١١ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ۝١٢ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۝١٣ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ۝١٤ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝١٥ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ۝١٦ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ۝١٧ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ۝١٨ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۝١٩ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ۝٢٠ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝٢١ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۝٢٢ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۝٢٣ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ۝٢٤ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ۝٢٥ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۝٢٧ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾[1].

إذاً فقد سمع الجن واستمعوا، ورسول الله ﷺ لا يدري باختلاط الجن من حوله واضطرابهم، ثم إنصاتهم وخشوعهم، فمع خيوط الفجر كانوا قد انحدروا، ومع طيوره وأنسامه كانوا قد (هبطوا على النبي ﷺ، وهو يقرأ القرآن (ببطن نخلة). فلما سمعوه قالوا[2]: أنصتوا، صه. وكانوا تسعة أحدهم (زوبعة) فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم

---

(١) سورة الجن.

(٢) الفتنة: الامتحان والابتلاء.

مُنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾[1].

هذه الآيات نزلت، ونزل غيرها فيما بعد.. تبشر رسول الله ﷺ بأن له أتباعاً لا يراهم ولا يسمعهم.. ليسوا من الملائكة ولا من البشر، بل هم من الجن: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾[2].

ومحمد ﷺ نبي للإنس والجن، وقد أمره الله بأن يلتقي بوفد من الجن.. في ليلة بحث الصحابة فيها عن حبيبهم ﷺ، فلم يجدوه، ووجدوا الحزن والخوف في كل مكان يفتشونه.. في كل مكان يقصدونه، حتى ظنوا أن أيدي المشركين تخطفته وفتكت به.

تلك ليلة كالحداد.. تحدث عنها ابن مسعود فقال: (كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه، فالتمسناه في الأودية والشعاب، فقيل: أستطير؟! اغتيل.

فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء. فقلنا: فقدناك فطلبناك، فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال: أتاني داعي الجن فذهبت معهم فقرأت عليهم القرآن.

فانطلق ﷺ بنا فأرانا آثارهم، وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد.. فقال ﷺ: كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً[3]، وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم..

قال رسول الله ﷺ: «فلا تستنجوا بها، فإنهما طعام إخوانكم»[4]. هذه ليلة لم يحضرها أحد.. لم يشهد أحداثها سواه ﷺ، لكن هناك ليلة أخرى أحب ﷺ أن يكون له فيها رفيق من صحابته، فكان عبد الله بن مسعود الذي يقول: (قال رسول الله ﷺ

---

(١) سورة الأحقاف: الآيات ٢٩-٣٢.

(٢) سورة الذاريات: الآيات ٥٦ -٥٨.

(٣) أي إن العظام التي يذكر اسم الله عليها عند أكل لحمها تعود طعاماً للجن.

(٤) حديث صحيح. رواه مسلم.

لأصحابــه وهو بمكة: من أحب منكم أن يحضر أمر الجــن الليلة فليفعل. فلم يحضر منهم أحد غيري.

فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة خط لي برجله خطاً، ثم أمرني أن أجلس فيه، ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن، فغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه، حتى ما أسمع صوته، ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين، حتى بقي منهم رهط.

ففرغ رســول الله ﷺ مع الفجر، فانطلق فتبرز، ثم أتاني، فقال: ما فعل الرهط؟ قلت: هم أولئك يا رســول الله. فأعطاهم عظماً وروثاً زاداً، ثم نهى أن يســتطيب أحد بروث أو عظم)[1].

هذه هي قصته ﷺ مع الجن. سمعوه وهو يصلي في طريقه إلى عكاظ، ثم التقى بهم مرة، وأخرى، وربما ثالثة ورابعة.

لقد أُمر ﷺ بإرشــادهم.. بإنقاذهم من عوالم الشرك التي تموج ولا نراها، لكنه لم يؤمر بالاعتماد عليهم، ولا بإقامة علاقة بينهم وبين أصحابه، فكلٌ يدعو في مجاله، وكل يتوهج في ميدانه. هنا عالم للإنس، وهناك عالم للجن، وما يهمنا هو عالمنا، فماذا فعل ﷺ بعد أن فرغ من صلاته متجهاً نحو عكاظ؟

في عكاظ

وصــل ﷺ إلى عــكاظ.. تتبع القبائــل.. دخل خيامهم، وبشــرهم ودعاهم. كل القبائل دون استثناء.. بني عبس، وكندة، وتميم، وبكر بن وائل، وبني عامر بن صعصعة، وبني حنيفة، وغيرهم.

كانــت بعض القبائل تصرفه بلطف، والبعض بعنف، وهناك من يشــتمه ويســبه ويتهمه، وكان خلف ذلك الرفض أكوام الوصايا تحذر من فتى قريش ﷺ.

---

(١) حديث حسن، رواه ابن جرير تفسير ابن كثير ٤-١٦٤ من طرق عن يونس بن يزيد الأيلي عن الزهري عن ابن عثمان بن شبة. والصحيح: ابن سنة كما قال الحافظ عن ابن مسعود، وله علتان، الأولى: رواية يونس عن الزهري، فهو ثقة إلا أن روايته عن ابن شهاب فيها وَهْمٌ قليل، وابن سنة لم يوثق، وله طريقان يرتقي بهما إلى درجة الحســن، هما: جرير عن قابوس عن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن مســعود، وهذا الطريق حسن لذاته وقد مر معنا تخريجه.. كذلك طريق آخر عند أبي نعيم. انظر تفسير ابن كثير (١٦٤/٤).

يقول أحد الصحابة رضي الله عنه: (إن رسول الله ﷺ لبث عشر سنين، يتبع الحاج في منازلهم، في المواسم: مجنة، وعكاظ ومنازلهم بمنى: من يؤويني وينصرني حتى أبلغ رسالات ربي وله الجنة. فلا يجد أحداً يؤويه ولا ينصره، حتى إن الرجل يرحل صاحبه من مصر، أو من اليمن، فيأتيه قومه أو ذوو رحمه، فيقولون: احذر فتى قريش لا يفتنك. يمشي بين رحالهم، يدعوهم إلى الله عز وجل، يشيرون إليه بأصابعهم، حتى بعثنا الله عز وجل له من يثرب)[1].

عشر من السنين يرفع الخباء.. يشع في الخيام كالشموس كالضياء.. يحط كالأمطار كالربيع والظباء.. لينعم الجميع.

كان ﷺ لطيفاً ليناً في حديثه.. يحترم من أمامه، ويدعوه بأحب الأسماء إليه. ها هو في لقاء مع رجل من:

همدان

فبينما (كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف، فيقول: هل من رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل؟

فاتاه رجل من همدان، فقال الرسول ﷺ: ممن أنت؟ فقال الرجل: من همدان. قال ﷺ: فهل عند قومك من منعة؟

قال الرجل: نعم.

ثم إن الرجل خشي أن يحقره قومه، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: آتيهم فأخبرهم، ثم آتيك من عام قابل، قال ﷺ: نعم. فانطلق)(٢).. ألهذه الدرجة بلغ الخوف من القوم؟! ألهذه الدرجة صحراء العرب موحشة وقاسية على هذا النبي ﷺ، وعلى أصحابه المساكين؟! كأنهم سيتحالفون مع الموت.. مع الفناء.. أما لهم عقول! أم تحولوا إلى صخور؟ ومع ذلك، لا يأس.. يعود عليه السلام ويداه خالية منهم، وهمُّ العالم

---

(١) هو قطعة من حديث صحيح سيمر معنا عند لقاء الأنصار.

(٢) سنده صحيح. رواه أحمد ٣-٣٩٠ وغيره من طرق عن إسرائيل، عن عثمان بن المغيرة، عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر. وسالم ثقة سمع من جابر. جامع التحصيل ٢١٧ وعثمان ثقة. التهذيب ٧-١٥٥ وإسرائيل بن يونس ثقة معروف. التهذيب ١-٢٦١.

يدور برأســـه.. يعود إلى بيته حيث لا خديجة.. لا زوجة تمسح الجراح.. تبادله الحب والحنـــان. يتذكر خديجة في بيته الذي يفتقدها.. يتذكر خمســـة وعشـــرين عاماً من الحب عاشها معها، ولا يعرف من تلك الطاهرة إلا ما يثلج صدره ويبهجه. ما ذكر امرأة غيرها ولا طرق باباً للزواج بعدها! كأنها لم تمت، لكن إرادة الله كانت وحياً في المنام، ورؤيا الأنبياء وحي يستيقظ حقيقة على الأرض. فما الذي جرى في المنام؟

فتاة وحرير ليالي الحج

في ليلة من ليالي توافد الناس للحج، وقبل عامين من الهجرة كان ﷺ نائماً، فجاءه في المنام رجل مرتين.. يحمل ابنة صاحبه الصديق أبي بكر (عائشـــة) رضي الله عنها.. يحملها (في ســـرقة من حرير[1] فيقول: هذه امرأتك. فأكشفها فإذا هي أنت[2]. فأقول: إن كان هذا من عند الله يمضه)[3].

الزواج بعائشة وسودة

كانت هذه الرؤيا وحياً من الله.. مَنَّ به على رسول الله ﷺ فضلاً منه.. لم يسع إليه ﷺ، بل ساقه إليه.

تقول عائشـــة رضي الله عنها: (لما ماتت خديجة رضي الله عنها جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون. قالت: يا رســـول الله، ألا تزوج؟ قال ﷺ: «من؟» قالت: إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً. قال ﷺ: «فمن البكر؟» قالت: ابنة أحب خلق الله عز وجل إليك، عائشة بنت أبي بكر. قال رسول الله ﷺ: «ومن الثيب؟» قالت: سودة بنت زمعة، قد آمنت بك، واتبعتك على ما تقول. قال ﷺ: «فاذهبي فاذكريها علي».

لكن عائشة مخطوبة

فدخلـــت بيت أبي بكر، فقالـــت: يا أم رومان[4] ماذا أدخـــل الله عليكم من الخير

---

(١) قطعة حسنة من الحرير.

(٢) يخاطب ﷺ في هذا الحديث زوجته عائشة رضي الله عنها.

(٣) حديث صحيح. رواه البخاري (١٩٥٣/٥). ومعنى يمضه: أي يتمه.

(٤) هي أم عائشة رضي الله عنها.

والبركة. قالت أم رومان: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة. قالت أم رومان: انتظري أبا بكر حتى يأتي.

فجاء أبو بكر. فقالت: يا أبا بكر ماذا أدخل عليكم من الخير والبركة. قال: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة. قال أبو بكر: وهل تصلح له، إنما هي ابنة أخيه. فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فذكرت له ذلك. قال ﷺ: «ارجعي إليه فقولي له: أنا أخوك، وأنت أخي في الإسلام، وابنتك تصلح لي».

فرجعت فذكرت ذلك. قال أبو بكر: انتظري. وخرج.

قالت أم رومان: إن مطعم بن عدي قد كان ذكرها على ابنه، فوالله ما وعد وعداً قط فأخلفه لأبي بكر، فدخل أبو بكر رضي الله عنه على مطعم بن عدي، وعنده امرأته - أم الفتى[1] - فقالت: يا ابن أبي قحافة، لعلك مصب[2] صاحبنا - مدخله في دينك الذي أنت عليه إن تزوج إليك؟

قال أبو بكر للمطعم بن عدي: أقول هذه تقول؟ قال المطعم: إنها تقول ذلك[3].

فخرج من عنده، وقد أذهب الله عز وجل ما كان في نفسه من عدته التي وعده. فرجع فقال: ادعي لي رسول الله ﷺ.

فدعته، فزوجها إياها - وعائشة يومئذ بنت ست سنين.

ثم خرجت، فدخلت على سودة بنت زمعة، فقالت: ماذا أدخل الله عز وجل عليك من الخير والبركة. قالت سودة: وما ذاك؟

قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطبك عليه.

قالت: - وودت - ادخلي إلى أبي فاذكري ذاك له، وكان شيخاً كبيراً قد أدركه السن، قد تخلف عن الحج. فدخلت عليه، فحييته بتحية الجاهلية[4]. فقال: من هذه؟

---

(١) أي أم الفتى التي خطبت له عائشة.

(٢) الصابئ من ترك دينه وقد خافت أم الفتى أن يدخله أبو بكر في الإسلام بعد زواجه.

(٣) جاء في رواية أن المطعم (أقبل على امرأته فقال لها: ما تقولين، فأقبلت على أبي بكر، فقالت: لعلنا إن أنكحنا هذا الفتى إليك تصبئه وتدخله في دينك؟ فأقبل عليه أبو بكر، فقال: ما تقول أنت؟ فقال المطعم: إنها لتقول ما تسمع. فقام أبو بكر وليس في نفسه من الموعد شيء. انظر سيرة الذهبي (٢٨١).

(٤) في رواية عند الذهبي: فقلت له: أنعم صباحاً.

قلت: خولة بنت حكيم. قال: فما شـــأنك؟ قلت: أرسلني محمد بن عبد الله ﷺ أخطب عليه سودة. قال: كفء كريم. ماذا تقول صاحبتك؟ قلت: تحب ذاك. قال: ادعيها إلي.

فدعيتهـــا. قال: أي بنية إن هذه تزعـــم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرســـل يخطبك، وهو كفء كريم. أتحبين أن أزوجك به؟ قالت سودة: نعم. قال: ادعيه لي. فجاء رســـول الله ﷺ إليـــه، فزوجها إياه. فجاء أخوها عبـــد بن زمعة من الحج، فجعل يحثي في رأســـه التراب. فقال بعد أن أســـلم: إني لســـفيه يوم أحثي في رأسي التراب أن تزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة)[1].

ودخلت سودة بنت زمعة بيت رسول الله ﷺ.. أول امرأة بعد خديجة، وكانت مثل خديجة، حيث ســـبق لها الزواج برجل قبل رســـول الله ﷺ، وربما كانت أسن منه. أما عائشة الصغيرة، فالزواج في سنها كان معروفاً ومعتاداً، بل كانت مخطوبة لابن المطعم بن عدي، وها هي تحدثنا فتقول: (تزوجني رسول الله ﷺ متوفى خديجة قبل مخرجه إلى المدينة بسنتين، وأنا بنت سبع سنين)[2].

دخل ﷺ على سودة، لكنه لم يدخل على عائشة في مكة أبداً، أما سودة فالتحقت ببيته ﷺ.. تصلح من شأنه، وترعاه وتزيح عنه الكدر والأذى الذي يلاحقه في شوارع مكة كظله.

عروس ولكن

أصبح ﷺ عروســـاً يبتهج بحياته الجديدة، كما تبتهج زوجته به، لكنهما عريسان للكفاح.. للنضال. يريدان جعل الأرض كلها أعراساً وأفراحاً.

حمل ﷺ ثياب عرسه واتجه نحو تجمعات القوم من جديد، فلن يكون للعرس لذة والناس محرومون من لذة الإيمان، فالتوحيد كالماء .. كالهواء. لا بد أن يدخل كل بيت،

---

(١) ســـنده حســـن. رواه أحمد ٦-٢١٠ وغيره عن محمد بن عمرو بن علقمة حدثنا أبو ســـلمة ويحيى قالا: وظاهره الإرســـال، لكنه جاء متصلاً كما في ســـيرة الذهبي حيث قال يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب: قالت عائشـــة. وهو ممن روى عنها وهو حســـن من أجل ابن علقمة فهو حسن الحديث. وقد جاء الحديث متصلاً عند الطبراني ٢٣-٢٤.

(٢) تزوجها في مكة لكنها لم تزف إليه ﷺ إلا في المدينة، والحديث رواه البخاري ومسلم.

ويعمـــر كل قلب، وعلى حامله أن يحفر القناة بمعوله.. بيديه بأظفاره. فالناس عطاش والأرض جفـــاف. اتجه ﷺ إلى قبائـــل العرب.. يرافقه أبو بكـــر الصديق وابن أخيه الشـــاب علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، فكانت هذه القصة المنســـوجة بالأشعار والأنساب:

في خيام ربيعة

يقول علي رضي الله عنه: (لما أمر الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ أن يعرض نفسه علـــى قبائل العرب، وأنا معه، وأبو بكر رضي الله عنه، فدفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدم، أبو بكر وكان مقدماً في كل خير، وكان رجلاً نســـابة - فســـلم، وقال: ممن القوم؟ قالوا: من ربيعة.

قال أبو بكر: وأي ربيعة أنتم؟ أمن هامها، أي من لهازمها[1]؟

فقالوا: من الهامة العظمى.

فقـــال أبو بكر رضي الله عنه: وأي هاماتها العظمى أنتم؟ قالوا: من ذهل الأكبر؟ قـــال أبو بكر: منكـــم عوف الذي يقال له: لا حر بوادي عـــوف؟ قالوا: لا. قال: فمنكم جساس بن مرة، حامي الذمار[2] ومانع الجار؟ قالوا: لا. قال: فمنكم بسطام بن قيس، أبـــو اللواء، ومنتهـــى الأحياء؟ قالوا: لا. قال: فمنكم الحوفزان، قاتل الملوك، وســـالبها أنفسها؟ قالوا: لا. قال: فمنكم المزدلف، صاحب العمامة الفردة؟ قالوا: لا. قال: أخوال الملـــوك من كندة؟ قالوا: لا. قال: أصحاب الملوك من لخم؟ قالوا: لا. قال: فلســـتم من ذهل الأكبر، أنتم من ذهل الأصغر.

فقام إليه غلام من بني شيبان يقال له «دغفل» حين تبين وجهه فقال:

إن علـــى ســـائلنا أن نســـله والـعـبـو لا نـعـرفـه أو نجـهـلـه

يا هذا.. قد سألتنا فأخبرناك، ولم نكتمك شيئاً، فممن الرجل؟ قال أبو بكر: أنا من قريش.

---

(١) اللهزمة عظم في اللحى تحت الحنك. أي من أشرافها.

(٢) أي ما يحمي كالأهل والعرض والمال.

فقال الفتى: بخٍ.. بخٍ، أهل الشـــرف والرياســـة. فمن أي القرشيين أنت؟ قال أبو بكر: ولد تيم بن مرة.

فقـــال الفتى: أمكنت والله الرامي من ســـواء الثغرة، أمنكـــم قصي[١] الذي جمع القبائل من فهر، فكان يدعى في قريش مجمعاً؟ قال أبو بكر: لا. قال: فمنكم هشام[٢] الذي هشـــم الثريد لقومه، ورجال مكة مســـنتون عجاف؟ قال: لا. قال: فمنكم شـــيبة الحمـــد: عبد المطلب[٣] مطعم طير الســـماء، الذي كان وجهـــه القمر يضيء في الليلة الداجيـــة؟ قال أبو بكر: لا. قال: فمن أهل الإفاضة[٤] بالناس أنت؟ قال: لا. قال: فمن أهل الحجابة[٥] أنت؟ قال: لا. قال: فمن أهل الســـقاية[٦] أنت؟ قال: لا. قال: فمن أهل النداوة[٧] أنت؟ قال: لا. قال: فمن أهل الرفادة[٨] أنت؟ قال: لا.

فاجتذب أبو بكر رضي الله عنه زمام الناقة، راجعاً إلى رسول الله ﷺ، فقال الغلام:

يهضبـــه حينـــاً وحينـــاً يصدعـــه صـــادف در الســـيل دراً يدفعه

أما والله لو ثبت لأخبرتك من قريش، فتبسم رسول الله ﷺ، فقال علي: يا أبا بكر لقد وقعت من الأعرابي على باقعة. قال أبو بكر: أجل يا أبا الحسن، ما من طامة، إلا وفوقها طامة، والبلاء موكل بالمنطق)[٩].

وعند مفروق وقومه

قـــال علي رضي الله عنـــه: (ثم دفعنا إلى مجلس آخر، عليهم الســـكينة والوقار، فتقدم أبو بكر، فسلم. فقال: ممن القوم؟ قالوا: من شيبان بن ثعلبة.

---

(١) جد النبي ﷺ.
(٢) كل هؤلاء أجداد رسول الله ﷺ.
(٣) كل هؤلاء أجداد رسول الله ﷺ.
(٤) انصراف الحجاج من عرفات.
(٥) حجابة الكعبة.
(٦) السقاية: حياض لعبد قصي توضع بفناء الكعبة. يسقى فيها الماء العذب للجميع.
(٧) دار النـــدوة كانـــت قريش تقضي فيها أمورهـــا، ولم يكن يدخلها من غير أولاد قصـــي إلا من بلغ أربعين سنة.
(٨) الرفادة: أموال تخرجها قريش من أموالها في كل عام يصنع منه طعام للحجاج.
(٩) سنده قوي يأتي تخريجه في نهاية القصة.

obeikandl.com

فالتفت أبو بكر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ، فقال: بأبي أنت وأمي، هؤلاء غرر الناس، فيهم مفروق بن عمرو، وهاني بن قبيصة، والمثنى بن حارثة، والنعمان بن شريك.

وكان مفروق قد غلبهم جمالاً ولساناً، وكانت له غديرتان تسقطان على تربيته[1]، وكان أدنى القوم مجلساً، فقال أبو بكر رضي الله عنه: كيف العدد فيكم؟ فقال مفروق بن عمرو: إنا لنزيد على ألف، ولن تغلب ألف من قلة. فقال أبو بكر: كيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟ فقال المفروق: إنا لأشد ما نكون لقاءً حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله، يدلنا[2] مرة، ويدلي علينا أخرى، لعلك أخا قريش؟ فقال أبو بكر: قد بلغكم أنه رسول الله؟ ألا هو ذا. فقال مفروق: بلغنا أنه يذكر ذاك، فإلى ما تدعو يا أخا قريش؟

فتقدم رسول الله ﷺ، فجلس، وقام أبو بكر يظله بثوبه، فقال رسول الله ﷺ: «أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وإلى أن تؤوني وتنصروني، فإن قريشاً قد ظاهرت على أمر الله، وكذبت رسله، واستغنت بالباطل عن الحق، والله الغني الحميد». فقال مفروق ابن عمرو: وإلامَ تدعونا يا أخا قريش، فوالله ما سمعت كلاماً أحسن من هذا؟ فتلا رسول الله ﷺ: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ [3] نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.

فقال مفروق بن عمرو: وإلام تدعونا يا أخا قريش، فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض؟ فتلا رسول الله ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ ﴾.

فقال مفروق: دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ولقد أفك[4] قوم كذبوك وظاهروا عليك. وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هانئ بن قبيصة، فقال: وهذا هانئ شيخنا، وصاحب ديننا.

---

(١) عظم الصدر.

(٢) أدل الإنسان بحجته: احتج بها وأحضرها.

(٣) الفقر.

(٤) كذب.

فقال هانئ بن قبيصة: لقد سمعت مقالتك يا أخا قريش، إني أرى أن تركنا ديننا واتباعنا على دينك، لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر، أنه زلل في الرأي، وقلة نظر في العاقبة، وإنما تكون الزلة مع العجلة، ومن ورائنا قوم نكره أن يعقد عليهم عقداً، ولكن نرجع وترجع وننظر. وكأنه أحب أن يشركه المثنى بن حارثة فقال: وهذا المثنى بن حارثة، شيخنا وصاحب حربنا.

فقال المثنى بن حارثة: سمعت مقالتك يا أخا قريش، والجواب في جواب هانئ بن قبيصة في تركنا ديننا ومتابعتك على دينك، وإنا إنما نزلنا بين صريين اليمامة والسماوة، فقال رسول الله ﷺ: ما هذان الصريان. فقال المثنى: أنهار كسرى، ومياه العرب، فأما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه مغفور، وعنده مقبول، وإنما نزلنا على عهدٍ أخذه علينا أن لا نحدث حدثاً، ولا نؤوي محدثاً، وإني أرى أن هذا الأمر الذي تدعونا إليه يا قرشي مما يكره الملوك، فإن أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب. فعلنا.

فقال رسول الله ﷺ: ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم، ويفرشكم نساءهم. أتسبحون الله وتقدسونه؟ فقال النعمان بن شريك: اللهم فلك ذلك.

فتلا رسول الله ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾[1].

ثم نهض رسول الله ﷺ قابضاً على يدي أبي بكر وهو يقول: يا أبا بكر أية أخلاق في الجاهلية ما أشرفها، بها يدفع الله عز وجل بأس بعضهم عن بعض، وبها يتحاجزون فيما بينهم.

قال علي رضي الله عنه: فدفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج، فما نهضنا، حتى بايعوا رسول الله ﷺ، فلقد رأيت رسول الله ﷺ، وقد سر بما كان من أبي بكر ومعرفته بأنسابهم)[2].

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٤٦.

(٢) سنده قوي رواه البيهقي في الدلائل ٢-٤٢٢ واللفظ له، وأبو نعيم ٢٨٢ من طرق عن أبان بن =

ففي خيمة المفروق لا عطاء.. لكن مجلس المفروق كان آخر الأحزان.. لم يحث في الوجوه.. شتماً ولا تراب.. رطباً طرياً كان مجلس المفروق.. يوحي بأن في الصحراء.. قلباً وماءً.. نبعاً يرطب العروق.. يشدها نحو السماء.

لقاء الأنصار

دفع ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه إلى خيام الأوس والخزرج.. القادمين من حرة يثرب، فكان لقاء الغرباء بالغرباء.. جدد الدنيا وحول التاريخ، وأعاد للإنسانية المطحونة مكانتها.

(لما لقيهم رسول الله ﷺ. قال لهم: ممن أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج. قال ﷺ: «أمن موالي يهود؟» قالوا: نعم. قال ﷺ: «أفلا تجلسون أكلمكم؟» قالوا: بلى.

فجلسوا معه، فدعاهم رسول الله ﷺ إلى الله عز وجل، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، وكان مما صنع الله لهم في الإسلام أن يهوداً كانوا معهم ببلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانت الأوس والخزرج أهل شرك، وأصحاب أوثان، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالت اليهود: إن نبياً مبعوث الآن قد أظل زمانه، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم[1].

فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر، ودعاهم إلى الله عز وجل، قال بعضهم لبعض: يا قوم اعلموا والله أن هذا الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه، فأجابوه لمَّا دعاهم إلى الله عز وجل، وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا له: إنا قد

= تغلب، عن عكرمة، عن ابن عباس عن علي. وأبان بن تغلب الربعي ثقة وقال النسائي: ثقة، لكنه قد عرف بالتشيع. قال الحافظ: (التشيع في عرف المتقدمين: اعتقاد تفضيل علي على عثمان.. وأما التشيع في عرف المتأخرين فهو الرفض المحض، فلا تقبل رواية الرافض الغالي ولا كرامة) وهذا الرجل ليس من الرافضة، ولذلك قال الحافظ في التقريب ثقة تكلم فيه للتشيع. وعكرمة: ثقة مر معنا كثيراً. وقد تكلمت عن الحديث وطرقه بأطول من هذا في (تخريج أحاديث السيرة). وقد قال الحافظ في الفتح: وأخرجه الحاكم والبيهقي في الدلائل بإسناد حسن. انظر فتح الباري (٧١/١٥) وقول القسطلاني في المواهب: أخرجه الحاكم والبيهقي وأبو نعيم بإسناد حسن.

(١) إرم: قوم منهم عاد، وقيل: مدينة لهم. وهذه العبارة موجودة في توراة اليهود حتى اليوم.